الكرد.. تاريخ وأصول

كاكشار أومار – باحث كردي

تضمّ جغرافيا شرق كردستان خمس ولايات (أورمية، سنه، كرمانشان، إيلام وأراضي ليكنشين التابعة لولاية لورستان)، لكن وفقاً للتقسيم الذي اعتمده النظام الإيراني، فإنّ ولاية سنه وعدد من المدن التابعة لها (سقز، بانه، مريوان، قروه، بيجار، كاميران وديوان دره) تشكّل محافظة كردستان. ومنذ القضاء على ثورة سمكوبي شكاكي (1887-1930) تمّت تسمية ولاية أورمية كمحافظة آذربيجان الغربيّة، أي منذ عهد الشاه رضا بهلوي (1878-1944)، جرى كلّ هذا في الفترة التي كان الكرد يشكّلون أكثر من 70 % من تعداد سكّان تلك الولاية.

بعد كلّ المتغيّرات السياسيّة-الاقتصاديّة الأخيرة في عموم الشرق الأوسط والحرب التي خاضها الكرد ضدّ تنظيم داعش الإرهابي، ظهرت مساعٍ جدّية من قبل الدولة التركيّة لضرب القضيّة الكرديّة حتّى خارج حدودها الجغرافيّة. وإذا ما تطوّرت الأوضاع في إيران وتمخّضت عنها تغيّرات سياسيّة، فلا شكّ أنّ الكرد سينهضون من جديد للمطالبة بحقوقهم السياسيّة وستظهر بوادر صراع على نحو أوضح ممّا عليه الوضع الآن. حينها، يمكننا القول بأنّ الدولة التركيّة ستقف ضدّ طموحات الكرد في تلك الجغرافيا وستتّخذ حيالها مواقف عنيفة أسوة بتلك التي أبدتها تجاه الكرد في غرب كردستان/شمال وشرق سوريا.

تضمّ جغرافيا شرق كردستان خمس ولايات (أورمية، سنه، كرمانشان، إيلام وأراضي ليكنشين التابعة لولاية لورستان)، لكن وفقاً للتقسيم الذي اعتمده النظام الإيراني، فإنّ ولاية سنه وعدد من المدن التابعة لها (سقز، بانه، مريوان، قروه، بيجار، كامياران وديوان دره) تشكّل محافظة كردستان. ومنذ القضاء على ثورة سمكويى شكاكي (1887-1930) تمّت تسمية ولاية أورمية كمحافظة آذربيجان الغربيّة، أي منذ عهد الشاه رضا بهلوي (1878-1944)، جرى كلّ هذا في الفترة التي كان الكرد يشكّلون أكثر من 70 % من تعداد سكّان تلك الولاية.

وفي شمال ولاية خراسان، يعيش أكثر من ميلوني كرديّ، ممن يتكلّمون اللهجة الكرمنجيّة ومستمرّون في الحفاظ على أصالتهم ولغتهم الأم ونيل بعض من حقوقهم المشروعة. علاوة على عدد كبير من الكرد الذين يقيمون في خلخال، قزوين، كرج، طهران، بلوجستان، همدان ومشهد.

تاريخيّاً، كان للمسألة الكرديّة أولويّة لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها، ومع كلّ فرصة سانحة، كان الكرد يناضلون لأجل مطالبهم سواء كانت مطالب الاستقلال، الإدارة الذاتية، النظام الفدرالي ضمن النظام الذي يحكم الدول المستعمرة لجغرافيا كردستان. وبعد الثورة التي قامت ضدّ نظام الشاه الإيراني (1978 - 1979)، لم يشارك الكرد في الاستفتاء الذي أجري لتأسيس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران. وبعد العام 1990، بدأ الكرد بنشاطات سياسيّة في كلّ من العراق وتركيا، وأيضاً في شرق كردستان، دخل النضال السياسي الكردي مرحلة جديدة، حيث تعتبر الأحزاب الكردستانيّة أهمّ الأطراف السياسيّة ضمن المعارضة الإيرانية منذ حكم الشاه رضا بهلوي، ولم تتوقّف تلك الأحزاب عن عملها السياسي حتّى يومنا هذا. ودوماً كان الكرد هم الأكثر نضالاً ضمن الإثنيّات الموجودة في جغرافيا إيران الحاليّة من البلوش، الآذر والعرب وغيرهم.. وهناك العشرات من الوثائق التي تؤكّد على محاربة الأنظمة الإيرانيّة المتعاقبة لثورات الكرد وقادتهم في إيران.

يُعرف الكرد، بين عموم الشعوب الإيرانيّة، كأحد الشعوب الأصليّة في هذه الجغرافيا، إلى جانب صيته الذائع في الكرم، الشجاعة، التفاني في الدفاع عن حدود إيران والحفاظ على تراثه والتمسّك بهويّته القوميّة. ووفقاً للمصادر الإيرانيّة، غير الرسميّة، يبلغ تعداد الكرد في إيران نحو 7 ملايين، لكنّ هذه الاحصائيّة بعيدة كلّ البعد عن الحقيقة، وسنتحدّث بشكل مفصّل عن هذا الموضوع في سياق مقالتنا هذه. في الجزء الشمالي لشرق كردستان وشمال خراسان يتحدّثون اللهجة الكرمنجيّة، والكرد في موكريان وأردلان يتحدّثون اللهجة السورانيّة، وفي ولايتي كرمانشان وإيلام، يتحدّثون بلهجتي اللكّية والكورانيّة، فيما يتحدّث سكّان ولاية لورستان باللهجة اللوريّة، أمّا في ولاية سنه (في منطقة هاورامان)، فيتحدّثون اللهجة الهورامّية وهي قريبة من اللهجة الزازيّة (الكردكيّة). ومن الناحيّة الدينيّة، فإنّ الغالبيّة من كرد شرق كرستان ينتمون للمذهب السنّي، وفي المرتبة الثانية الكرد الشيعة، ومن ثمّ اليارسان والبهائيّين الذين يقطنون في الجزء الجنوبي من هذه الجغرافيا.

تبلغ مساحة شرق كردستان حوالي 175000 كم مربّع، لكنّ هذه المساحة لا تشمل ولاية لورستان، حيث تختلف المصادر حول انتماء هذه الولاية لجغرافيا شرق كرستان من عدمه.

تمتدّ حدود كرستان التاريخيّة من أرضروم وأرزنجان حتّى مرعش وحلب، ومن محيط جبال همرين حتّى كرمانشان، إيلام، أجزاء من لورستان، أورمية، خويي، ماكو حتّى منطقة أله كز بالقرب من بيريفان، وتضمّ المئات من المدن ذات الطبيعة الجميلة والأنهار والينابيع العذبة.

تتكوّن ولاية لورستان من جزئين:

-1إقليم لورنشين

-2إقليم لكنشين، وسكّانه من "اللك" ويقطنون منطقة بيشكو (بيشكوه) ويُعرّفون أنفسهم ككرد أصليّين. أمّا سكّان منطقة بشتكو (بشت كوه) هم ليسوا من اللور ولا يعتبرون أنفسهم من الكرد ويعتبرون اللور أبناء قوميّة مستقلّة، لكنّم من الكرد

الفيليّين واللور وشاركوا في كلّ الثورات التي قام بها الكرد في جنوب كردستان ضدّ الحكومة المركزيّة في العراق. والشهيدة ليلى قاسم (1952-1974) هي من الكرد الفيليّين من قضاء خانقين.

تسمية كردستان

تسمية كردستان في الوثائق التاريخيّة أقدم من تسمية كلّ من إيران، تركيا، العراق وسوريا. ففي العام 1916، دخلت تسمية إيران في الوثائق الدبلوماسيّة الرسمية وذلك بناء على إصرار عدد من السياسيّين والمثقّفين المحيطين بالشاه رضا بهلوي. وقبل ذلك، كانت التسمية المعروفة عن جغرافيا إيران هي بيرسيا (بلاد الفرس). أمّا تسمية البلدان الثلاثة الأخرى (العراق، سوريا وتركيا) فجاءت بعد معاهدة سيفر (1920) واتّفاقيّة لوزان (1923). لكن بالنسبة لتسمية كردستان، فجاءت في عهد السلطان أحمد سنجر السلجوقي (معزّ الدين أحمد سنجر 1085- 1157 م) وكانت حاضرتها مدينة بهار، وهذه المدينة تابعة الآن لولاية همدان التي تبعد 15 كم غرباً عن مركزها.

من قرأ كتاب "شرف نامة" لمؤلّفه شرف الدين بدليسي (1543- 1603)، بإمكانه التعرّف على الحدود الطبيعيّة لكردستان وحكّامها المتعاقبين على حكمها إبّان العهد الصفوي والعهد العثماني. ووفقاً للوثائق، الدراسات والكتب التي تركها لنا الرّحالة وعلماء التاريخ، جرت عمليّات تغيير ديموغرافي على نطاق واسع في مناطق عدّة من جغرافيا كردستان. وفي العام 1514، جرى تقسيم كردستان، للمرّة الأولى، بين العثمانيّين والصفويّين، الأمر الذي أثار غضب الكثير من زعماء العشائر والآغوات الكرد الذين قاموا بثورات عدّة ضدّ عمليّة التقسيم تلك، وما انتفاضة "قلعة دم دم" في العام 1608 إلّا واحدة من تلك الثورات، التي رفضت جلب الافشاريّين الأتراك إلى منطقة أورمية.

في عهد الامبراطوريّة الصفويّة، كانت كردستان إحدى ولايات إيران، وكان لإقليم كرمانشان، في القرن التاسع عشر، أهمّية تجاريّة واستراتيجيّة كبرى وكان تشكّل مركز ولاية كردستان ومنفصلة عن إقليم أردلان.

وفي مساحات شاسعة من إقليم خراسان، كان الكرد المتحدّثون باللهجة الكرمنجيّة يقطنون العديد من المدن مثل شيروان، قوجان، بجنورد، إسفرايين، دره كز، جناران، كلات وباج كيران، كما كان الكصير من الكرد يعيشون في مدينة مشهد. قسم كبير منهم، تمّ جلبهم من ولاية أورمية، في عهد الملك عبّاس الصفوي، بذريعة حماية حدود إيران، لكنّ الهدف الأساسي كان رغبة الملك في إضعاف قوّة ونفوذ الأمراء والآغوات الكرد، الذين كانوا ينتفضون ضدّ الإمبراطوريّة، من خلال تشتيتهم. ومن جهة أخرى، كان الملك يرغب في حشد المقاتلين الكرد (الشجعان) في مواجهة الهجمات التي يشنّها الأوزبك والأفغان على حدود إمبراطوريّته.

يعتبر الكرد من أقدم الشعوب التي استقرّت في منطقة "ميزوبوتاميا" الممتدّة بين نهري دجلة والفرات، وكانت "ميديا" أولى الإمبراطوريّات التي أسّسوها (612 ق.م) على مساحة شاسعة من أراضي المنطقة والتي كانت عاصمتها هغمتان (همدان).

اللغة الكرديّة، بلهجاتها المتنوّعة، لغة غنيّة بمفرداتها ومصطلحاتها، أكثر من اللغتين الفارسيّة والتركيّة. وبحسب خبراء في اللغويّات، فإنّ هذه اللغة قريبة من اللغة البهلويّة القديمة التي كُتب بها كتاب "آفيستا" (الكتاب المقدّس لدى الديانة الزاردشتية) والتي حافظ سكّان منطقة هاورامان على مفردات كثيرة منها حتّى يومنا هذا. اللهجات الكرديّة من الكرمنجيّة، اللوريّة، السورانيّة، اللكّية والكلهوريّة حتّى الزازيّة (كردكيّة)، الكروسيّة والشبكيّة أغنت اللغة الكرديّة كثيراً وجعلتها لغةً غنيّة بين اللغات العالميّة، وهذا الأمر يبدو جليّاً من خلال الأدب الشفاهي الكردي. أمّا من الناحية الدينيّة، الكرد منقسمون بين عدّة أديان ومذاهب وطوائف، فمنهم السنّة والشيعة، ومنهم العلويّون والإيزيديّون، إلى جانب اليارسان والبهائيّين، علاوة على اليهوديّين والمسيحيّين. ربّما لا توجد احصائيّات دقيقة حول توزّع الكرد بين كل تلك الأديان والمذاهب والطوائف، لكنّ الغالبيّة العظمة منهم مسلمون سنّة ويتبعون المذهب الشافعي. وتبدو ثقافة التسامح طاغية لدى الكرد، على اختلاف معتقداتهم الدينيّة. ففي كتابه **Carnet de voyage Henry Bander: Kurdistan, Mésopotamie et Perse "مذكرات سفر هنري بندر: كردستان وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس"** يقول الرّحالة الفرنسي، هنري باندر: "الغالبية من كرد إيران ينتمون لديانة علي إلهي (أهل الحق ويقصد بهم اليارسان)، وإذا ما تركتهم يديرون شؤونهم بأنفسهم، فإنّهم لا يتدخّلون في شؤون الآخرين. يمتلكون مشاعر الاحترام للغير أكثر من الشعوب الأخرى". وقد تمّ نشر الكتاب في العام 1887 وتُرجم إلى اللغة الفارسيّة مع تغيير كلمة بلاد فارس في العنوان لتصبح إيران.

الطبيعة والجبال في شرق كردستان

أراضي شرق كردستان ذات طبيعة جبليّة، حيث نشاهد فيها جبالاً عالية وهي من الشمال إلى الجنوب:

-جبل جليكان (3230 م) وتقع في منطقة ماكو

-جبل ساريداش (3608 م) وتقع في منطقة سوما برادوست

-جبال رش (3578 م) وتقع في منطقة شينو

-جبل جل جمه (3608 م) وتقع في منطقة سنه

-جبل شاهو (3390 م) وتقع في منطقة هاورامان

-جبل دالاخاني (3350 م) وتقع في منطقة كرمانشان

-جبل بروا (3357 م) وتقع في منطقة بيستون

-جبل كبير كوه "الجبل الكبير" (3062 م) وتقع في منطقة إيلام

بالإضافة إلى سلسلة جبال زاغروس التي يبلغ امتدادها نحو 1000 كم من شمال كردستان باتّجاه شرقها، من جبال آغري (الكبير والصغير) حتّى منطقة لورستان، وتشكّل فواصل طبيعيّة بين 3 أجزاء كردستان (شمال، جنوب، شرق) ويعتبر جبل شاهو أعلى قمّة بين جبال كردستان (3390 م) ويقع في الجزء الجنوبي من شرق كردستان.

طبيعة شرق كردستان خلّابة بسهولها، جبالها وأوديتها، بينابيعها وأنهارها وهذا ما جعل من تربتها تربة زراعيّة بامتياز وتنتشر فيها شتّى أنواع الفاكهة والخضروات، ومن المناطق الغنيّة بزراعتها في جغرافيا شرق كردستان :**سهول سوما برادوست، أورمية، بيلوار، ميركه ور، شارويران، هوبه تو، ديكولانان (ديكولان)، مريوان، كامياران، ألوند، سهنه، كرمانشان، ماي دشت، إسلاماوا، كه رند، باتاق خوسروي وسهول إيلام (أيوان دشت).**

أنهار شرق كردستان هي :**زيرين (جختو) وسيمين (ته تهو)** يصبّان في بحيرة أورمية بعد مرورهما عبر عدّة مدن .**كه لوى، قزل أوزون، سيروان، ألوند، قره سو وكاماساويش.**

بحيرة أورميةتعتبر بحيرة أورمية، وتسميتها التاريخيّة هي "جي جيست"، ثاني بحيرة ذات مياه مالحة. يبلغ طولها 150 كم، أمّا عرضها فيبلغ 50 كم. ويعيش على أطرافها البشر منذ آلاف السنين. ونتيجة للسياسات التي اتّبعتها الحكومات الإيرانيّة وإنشاء العديد من السدود وحفر المئات من الآبار، وصلت بحيرة أورمية، خلال الأعوام الماضية، إلى حالة مزرية. لكنّ الأمطار الغزيرة التي هطلت خلال ربيع العام 2019 أعادت الحياة مجدّداً إلى البحيرة. عمليّات حفر أكثر من 120 بئراً في الأراضي المحيطة بالبحيرة تسبّبت بجفاف معظم الينابيع التي تصبّ فيها، الأمر الذي أضرّ بريّ وسقاية الأراضي الزراعيّة وأجبر الكثير من سكّان المنطقة على ترك أراضيهم والهجرة إلى مناطق أخرى. كما أنّ انخفاض منسوب المياه في البحيرة ألحق ضرراً بالمناخ (لكنّ المنسوب عاد إلى وضعه الطبيعي خلال العام الماضي).

الجفاف الذي تعرّضت له بحيرة أورمية أضرّ بمناخ المنطقة (شتاء قارس وصيف حار جدّاً)، وهذا المناخ انعكس سلباً على الأراضي الزراعيّة وأدّى إلى تيبّس الأشجار المثمرة نتيجة للملح المتبقّي المترسّب في أرضيّة البحيرة بعد جفاف مياهها، وحين تهبّ رياح عاصفة فإنّها تحمل معها تلك الأملاح وتنشرها في الأراضي الزراعيّة، إذ يمكن للمرء بتصنيف تلك الأملاح بأنّها أقوى من "قنبلة ذرّية". والآلاف من القرويّين أجبروا على ترك قراهم والتوجّه صوب المدن. وإذا ما استمرّ الوضع على حاله، فإنّ تلك المنطقة الريفيّة الرائعة ستواجه كارثة بيئيّة كبيرة قد تقضي عليها. وهذه الكارثة قد تلحق الضرر بمساحات شاسعة من أرضي شرق كردستان والمنطقة الآذريّة الواقعة في جغرافيا إيران. تماماً كما حدث لبحيرة "آرال" في آسيا الوسطى، فمنذ العام 1960 وحتّى العام 2010، جفّت مياه البحيرة تلك وتسبّبت بهجرة سكّان المناطق المحيطة بها. والآن بحيرة أورمية تواجه المصير ذاته إذا ما لم تقم جهة ما بالتحرّك لوقف الكارثة.

المناطق السياحيّة في شرق كردستان

تتوزّع معظم المصايف السياحيّة في شرق كردستان على المناطق التالية:

-قرية بنده التي تقع في غرب منطقة أورمية على الطريق الواصل بين ميركه ور وتركه ور

-مصايف زرى وار، ملا قوبي وإمام (في منطقة مريوان)

-مصيف هه وش ومصيف باراني (في منطقة هاورامان)

-مصيف سليمان بك (في منطقة بانى)

-مصيف أوير (في منطقة سنه)

-مصيف تاق وستان (في كرمانشان)

-مصيف سراو ريزاو (في منطقة ريزاو)

وغيرها العديد من المصايف المنتشرة في مدن شرق كردستان.

مناخ شرق كردستان

تغطّي الثلوج جبال شرق كردستان وتكسب المنطقة جوّاً بارداً في الشتاء، أمّا في المناطق السهليّة، فإنّ شتاءها أقلّ برداً كما أنّ فصل الصيف فيها يتميّز بالحرّ الشديد. وخلال الأعوام الأخيرة الماضية، تناقصت كمّيات هطول المطر والثلج ما جعل صيف عموم شرق كردستان أكثر حرارة.

التعداد السكّاني لشرق كردستان

يبلغ تعداد الكرد في شرق كردستان، وفقاً لدراسات وإحصائيّات عدّة، 15 مليون نسمة يشكّلون 17 % من عدد سكّان إيران بالعموم. لكن الدكتور عبد الرحمن قاسملو يشير، في كتابه "كردستان والكرد" إلى أنّ نسبة الكرد في إيران تبلغ 23 %. فيما تعلن المصادر الرسميّة الإيرانيّة إلى أنّ النسبة تبلغ 10 % فقط، وهي نسبة بعيدة عن الواقع.

غالبيّة الكرد في شرق كردستان مسلمون، من أتباع المذهبين السنّي والشيعي. معظم الكرد السنّة يقيمون في ولايتي أورمية وسنه، أمّا الشيعة فيقيمون في ولايات كرمانشان، لورستان وإيلام. وهناك كرد من أتباع المذهب "اليارساني" -يقطنون في أجزاء من ولاية كرمانشان- وهو مذهب قديم يشبه في تعاليمه الديانة الزاردشتيّة.. وهناك أديان ومذاهب أخرى منتشرة بين الكرد في شرق كردستان، لكن بنسبة أقل من المذتهب المذكورة.

اللغة الرسمية في إيران هي الفارسيّة، وكان ثمّة قرار رسمي بمنع التدريس في الجامعات بغير هذه اللغة، لكن بعد زيارة الرئيس الإيراني لولاية سنه، في العام 2015، تمّ إقرار التدريس باللغة الكرديّة في جامعات الولاية. عدا ذلك، فإنّ اللغة الكرديّة لا تدرّس في المدارس والجامعات, كما أنّ النظام الإيراني لا يولي الثقافة الكرديّة أيّ اهتمام.

الأحزاب والتنظيمات السياسيّة في شرق كردستان

الأحزاب السياسيّة الناشطة على ساحة شرق كردستان هي:

-الحزب الديمقراطي الكردستاني) بعد المؤتمر العام الثالث عشر للحزب في العام 1970 أضيفت كلمة إيراني إلى اسم الحزب .. (HDK-Îran بالنسبة للحزب الديمقراطي الكردستاني-إيران، فقد شهد انشقاقاً في الأعوام الأخيرة وبات حزبين منفصلين أحدهما يملك الاسم ذاته، أمّا الآخر فقد أزال كلمة إيران من الاسم ليصبح الحزب الديمقراطي الكردستاني. وهذا الحزب تأسّس في 16 آب من العام 1945 بقيادة القاضي محمد، مؤسّس جمهوريّة مهاباد في 22 كانون الثاني من العام 1946.

-جمعيّة الحياة الكرديّة

-كومله

-حزب الحياة الحرّة الكردستاني PJAK الذي نشط في السنوات الأخيرة ضدّ النظام الإيراني على الصعيدين السياسي والعسكري.

=حزب كوملة كردستان

-منظّمة يارسان الديمقراطيّة

-منظّمة النضال الثوري الكردستانيّة-إيران

-الحزب الشيوعي الكردستاني-إيران

-منظّمة الدفاع عن حقوق الإنسان الكردستانيّة-إيران

-منظّمة العمّال الكردستانيّة-إيران

-حزب حرّية كردستان

وفي واقع الحال، لا توجد أيّ روابط أو علاقات بين كلّ تلك الأحزاب والتنظيمات المذكورة، كما لا يوجد أيّ نوع من الاتّفاق فيما بينها ولا تمتلك استراتيجيّة موحّدة في عملها السياسي أو العسكري.

بعد الإعلان عن تأسيسه في العام 2004، تمكّن حزب الحياة الحرّة الكردستاني PJAKمن جذب انتباه الشباب الكرد في عموم شرق كرستان. فالحزب الديمقراطي الكردستاني-إيران يملك مؤيّدين كثر في منطقة موكريان، وحزب كومله كردستان ينشط كثيراً في ولاية سنه، أمّا PJAK فلديه مؤيّدين وأعضاء من مختلف مدن وبلدات شرق كردستان، تلك التي لم يكن بمقدور أيّ حزب آخر الوصول إليها وكسب مؤيّدين فيها. لكنّ هذا الحزب تمكّن من ضمّ عدد كبير من الشباب الكرد، حتّى من ولاية خراسان، وأرسلهم إلى الجبال في معسكرات تدريب سياسيّ وعسكري. وخاض حزب الحياة الحرّة الكردستاني معارك شرسة ضدّ النظام الإيراني في عدّة مناطق من شرق كردستان.طبعاً خاض الحزب الديمقراطي الكردستاني-إيران، بقيادة مصطفى هجري، أيضاً معارك ضدّ النظام الإيراني في الأعوام الأخيرة.

لكنّ اللافت أن لا تنسيق أو تعاون بين الأحزاب الكردستانيّة في نضالها وحربها ضدّ النظام الإيراني، على الرغم من مطالب الشعب بتوحيد القوى الكردستانيّة في وجه أعتى الأنظمة ظلماً واستبداداً.

الكرد في إيران أكثر الشعوب تنظيماً في المجال السياسي، وشرق كردستان يأوي العديد من قادة الأحزاب والتنظيمات غير الكرديّة منذ سقوط نظام الشاه الإيراني.

ولا يمكننا عدم ذكر الثورات والانتفاضات التي قامت في شرق كردستان منذ انتفاضة قلعة "دم دم" وثورة الشيخ عبيد الله النهري وصولاً إلى ثورة سمكو شكاكي وعشيرة الجلاليّة في ماكو وانتفاضة "قدم خير."

الوضع الاقتصادي في شرق كردستان

من بين إثنين وثلاثين محافظة في إيران، تعتبر محافظة كرمانشان أكثر المناطق التي تشهد بطالة بين صفوف الشباب. ويأتي الكرد في المرتبة الأولى في البطالة على مستوى إيران، وهذا الأمر هو نتيجة سياسات النظام الإيراني العدائيّة تجاه الكرد، حيث لا يترك النظام فرصة إلّا ويغتنمها لقتل "الكسبة" الكرد الذين يكسبون قوت يومهم من أعمال تعتبرها الحكومة غير قانونيّة.

على الرغم من أنّ الكرد يأتون في المرتبة الثالثة من حيث تعداد السكّان في إيران، بعد الفرس والآذر، إلّا أنّ التقرير الأخير للأمم المتّحدة أشار إلى أنّ نسبة المعتقلين السياسيّين في سجون النظام 50 % منهم نشطاء كرد. هذه السياسات الممنهجة التي تتّبعها الحكومات الإيرانيّة المتعاقبة بحقّ الشعب الكردي أثّر بشكل كبير على الوضع الاقتصادي لأبناء هذا الشعب.

يعتمد معظم الكرد في شرق كردستان على الزراعة، نظراً للنقص الكبير في المعامل والشركات الكبيرة في المناطق الكرديّة. لذا فإنّ معظم المقيمين في المناطق الحدوديّة يقتاتون على أعمال "التهريب"، لكنّهم في الأعوام الأخيرة يتعرّضون للقتل على يد قوّات الباسيج خلال ممارستهم عملهم. كلّ هذه الضغوط الاقتصاديّة ازدادت بعد مجيء نظام الملالي إلى سدّة الحكم في إيران وتأتي في إطار سياسات هادفة إلى إجبار الكرد على ترك مناطقهم والتوجّه صوب المدن الكبيرة خارج شرق كردستان في عمليّات تغيير ديموغرافيّ ممنهجة.

الكرد في "كردستان خراسان"

بسبب سياسات الحكومات الإيرانيّة المتعاقبة، منذ زمن سلطة العائلة الصفويّة وحتّى وقتنا الراهن، هاجر الآلاف من أبناء الشعب الكردي في شرق كردستان أرض آبائهم وأجدادهم ليسكنوا مناطق خارج جغرافيا كردستان. وبطبيعة الحال، لم تستثنى منطقة خراسان من تلك السياسات. وقضيّة تهجير آهالي خراسان الأصليين تحتاج إلى بحث بحدّ ذاته، سنحاول أن نختصرها ضمن بحثنا هذا.

يعيش الكرمنج (الكرد المتحدّثون باللهجة الكرمنجيّة) في أجزاء كثيرة من ولاية أورمية وآخرون يعيشون في ولاية خراسان بشمال إيران، وأُطلقت تسمية "كردستان خراسان" على المناطق التي يتواجد فيها الكرمنج.

مدن ولاية أورمية ذات الغالبيّة العظمى من الكرد تقع بين نهر آراس وجبال أغري حتّى وادي قاسملو ودشت بيله وهي **ماكو، بازركان، بولدشت، جالديران، فره زيادين، خوي، سلماس، سوما برادوست، أنزل، تركه ور، ميركه ور، أورمية (المدينة)، وادي قاسملو، دشت بيله (شمال مدينة شينو)** ويقطن كلّ هذه المدن العشائر الكرمنجيّة.

جميع الكرد القاطنين في المناطق المذكورة يتكلّمون اللهجة الكرمنجيّة والسكّان المقيمون في مدينة خوي وماكو يتكلّمون بلكنة تشبه لكنة مناطق سرحد بشمال كردستان، أمّا المقيمون في سلماس وأورمية فلكنتهم تشبه لكنة مناطق وان، جولميرك (بشمال كردستان) وشمال منطقة هولير (بجنوب كردستان).

وفق دراسات عدّة، نسبة 32 حتّى 35 % من كرد شرق كردستان يتكلّمون اللهجة الكرمنجيّة، والآخرون يتكلّمون كلّاً من السورانيّة، هاورامّية (كلهوريّة)، اللكّية واللوريّة.

على مدى 400 عام، تمّ تهجير الكرد قسراً من مدنهم وقراهم، وفق سياسة ممنهجة من قبل الإمبراطوريّة الصفويّة، ومن ثمّ أُستكملت عمليّات التغيير الديموغرافي لجغرافيا شرق كردستان (ولو بشكل أقل) منذ تولّي الملالي السلطة في طهران. وأغلب المدن التي تمّ تهجير الكرد إليها هي **قزوين، كيلان، رودبار، تاكستان التابعة لقزوين، زنجان، ملاير، همدان، غورغان، قم، شاهرود، كلاردشت مازندران (الكرد اليارسان أو أهل الحق)، دماوند، خار، ولاية فارس، بلوجستان، فرامين وكرمان.**

الكرد المهجّرون بالعموم حافظوا على أصالتهم وهويّتهم القوميّة إلى جانب لغتهم وثقافتهم (هناك تأثيرات بسيطة للغة الفارسيّة)، على الرغم من سياسات النظام الإيراني التي تعمد لأن تكون اللغة الفارسيّة هي اللغة الوحيدة في "جمهوريّة إيران". أمّا في المجال الديني، فإنّ معظم الكرد المهجّرين من مناطقهم تأثّروا بسياسات "التشيّع" وينظرون لأنفسهم على أنّهم شيعة.

خارج جغرافيا شرق كردستان، هناك مدن إيرانيّة عدّة بات الكرد يشكّلون فيها نسبة لا بأس بها من أصل تعداد سكّانها، هذه المدن هي **قوجان (عشيرة حسن لو)، رادكان، مه زوه، بجنورد (عشيرة دووان لو)، آش خانه، جاجه رم، فاروج، نيسابور، شيروان (عشيرة إيزان لو)، جيرستان، باج كيران، كه ره كز، جناران، إسفريان وكه لات (كه لاتا نادري) .** وهناك عدد لأ بأس به من الكرد يقيمون في مدينة مشهد، مركز ولاية خراسان. لكم بالعموم الكرد يطلقون تسمية "كردستان خراسان" على كل تلك المناطق، حتّى أنّ التسمية ذُكرت في كتب عدد من الرحّالة الغربيّين الذين قاموا برحلات في المنطقة قديماً.

وفقاً للكثير من المصادر التاريخيّة، هاجر عدد كبير من كرد شمال كردستان إلى شرقها خلال فترة الحروب بين الإمبراطوريّتين العثمانيّة والصفويّة، وترجّح تلك المصادر أنّ سبب الهجرة هو المذهب الديني. وكتاب "رسائل ألماري نادري" يتحدّث بإسهاب عن حياة الكرد في تلك الفترة وأسباب هجرتهم.

ويشير عدد من المؤرّخين الإيرانيّين إلى أنّ الكرد تمّ تهجيرهم إلى شمال إيران لحماية حدود الإمبراطوريّة الصفويّة (في عهد الشاه عبّاس الكبير الصفوي) من هجمات الأوزبيك، التركمان والأفغان، وهذا من سوء طالع الكرد أنّهم هجّروا وتمّ استخدامهم في معارك طاحنة لحماية أمبراطوريّة الشاه. فشجاعتهم وبسالتهم في القتال كانت السبب الذي قرّر به الشاه زجّهم في تلك المعارك واستخدامهم أداة لحماية أمبراطوريّته. في تلك الفترة كان الشاه وبلاطه يصفون الكرد ب**الآريّين الأصليّين، حماة حدود واستقلال إيران، الإيرانيّين الأصليّين، الكرماء والشعب المضياف** لكن حينما كان الكرد يطالبون بأبسط حقوقهم القوميّة، السياسيّة والاجتماعيّة، كانوا يتعرّضون لأبشع أنواع الظلم والاضطهاد. بسبب مطالبهم تلك، ارتكبت الأنظمة الإيرانيّة مجازر كثيرة بحقّ الكرد إلى جانب عمليّات التهجير التي تعرّضوا لها عبر التاريخ. حيث يأتي شاه على سدّة الحكم، فيقوم بتهجيرهم من أورمية إلى خراسان، ليخلفه شاه آخر ويقوم بتهجيرهم من خراسان إلى منطقة أخرى وهكذا.. تراجيديا تكرّر نفسها دوماً.

اللغة الكرديّة إبّان انتفاضة سمكو شكاكي

الأدب لدى الشعب الكردي في شرق كردستان كان بمجمله أدب شفاهي. مع ذلك، كانت هناك محاولات من مثقّفين كرد لتدوين ذلك الأدب، أولئك المثقّفين الذين رأوا ضرورة ملّحة أن لا يبقى الأدب الكردي بطابعه الشفاهي الكلاسيكي ليتمّ الحفاظ عليه وتداوله جيلاً بعد جيل، ومن المثقّفين الأوائل الذين انتبهوا لهذه المسألة الهامّة **سمكو شكاكي (1887–1930) وعبد الرزّاق بدرخان.**

ومرّت محاولات الحفاظ على الثقافة الكرديّة، من خلال التدوين، في شرق كردستان بمرحلتين تاريخيّتين:

-1إبّان انتفاضة سمكو شكاكي

-2في مرحلة قيام جمهوريّة مهاباد بقيادة القاضي محمد

تعتبر الجهود الجبّارة التي بذلها سمكو في سبيل خدمة الثقافة الكرديّة خلال فترة حكمه على منطقة أورمية ومحيطها، سواء في مجال نشر الصحف والمجلّات أو قراره بفتح العديد من المدارس التي تلقّى فيها الطلّاب شتّى أنواع العلوم والأدب. ربّما هي المرّة الأولى التي شهد فيها شرق كردستان اهتماماً بالإعلام والتربية. ففي العام 1912 أصدر المثقّف الكردي عبد الرزّاق بدرخان أوّل جريدة كرديّة بعنوان "كردستان" في مدينة خوي، وبدعم ماليّ وسياسيّ مباشر من سمكو شكاكي، علاوة على تأسيس أوّل مدرسة تدرّس باللغة الكرديّة بتاريخ 23-10-1913 والتي موّلتها السلطات الكرديّة بقيادة سمكو وبإشراف مباشر من عبد الرزّاق بدرخان.

وتقول مصادر عدّة أنّ إصدار جريدة كرديّة وبناء مدرسة باللغة الكرديّة لم يروقا للسلطات الإيرانيّة حينئذ، وزاد من نقمتها على الكرد وسمكو شكاكي.

بعد اندلاع الحرب العالميّة الأولى، وتحديداً في العام 1919، أصدرت سلطات سمكو صحيفة باللغة الكرديّة بعنوان "Rja Kurd"(معناها شمس الكرد) ومن ثمّ تغيّر اسمها ليصبح "كرد" وكانت الصحيفة الرسميّة في المناطق الخاضعة لسلطة سمكو. كانت الصحيفة أسبوعيّة ورئيس تحريرها الصحفي ملّا محمّد تورجاني زاده، وتُطبع في مطبعة "خيرت" بمدينة أورمية. كما أنشأ شبكة اتّصالات هاتفيّة ليكون على تماس مباشر بجبهات القتال والتطوّرات السياسيّة في عموم المنطقة والعالم. وبهذا الشكل كانت قلعة "جاريه" مقرّ إقامة سمكو على تواصل دائم مع قادة الجيش الميدانيّين.

قبل أن يعدّ سمكو شكاكي العدّة للبدء بانتفاضته ضدّ الحكومة الإيرانيّة المركزيّة، بالتعاون مع عبد الرزّاق بدرخان وعدد آخر من القادة، أسّس جمعيّة "الوعي" التي ضمّت عدداص كبيراً من المثقّفين الكرد وكان جلّ اهتماماتها نشر الثقافة الكرديّة بين المجتمع.

كما شهدت مرحلة تأسيس جمهوريّة مهاباد (1946) حركة ثقافيّة وإعلاميّة كبيرة، وبات الأدب الكرديّ زاخراً بأسماء لامعة ومؤلّفات عدّة. لكنّ جميع المؤلّفات تلك كانت باللهجة السورانيّة، ولم تكن باللهجة الكرمنجيّة، سوى رواية "بيشمركه" لمؤلّفها رحيم قاضي، التي احتوت صفحة باللهجة الكرمنجيّة ويظهر فيها جنود من جيش سمكو شكاكي. كما أولى القاضي محمّد نفسه اهتماماً بالثقافة والعلوم، حيث احتوت مكتبته الضخمة عدّة مؤلّفات تصدّرتها ملحمة "مم وزين" للشاعر الكرديّ الكبير أحمدى خاني.

تجدر الإشارة هنا إلى تصحيح معلومة تاريخيّة حول أوّل كتاب مطبوع باللغة الكرديّة والتي كان للكاتب فؤاد تمّو، لكن بعد دراسة تاريخيّة موسّعة، تمكّنا من الوصول إلى كتاب بعنوان "عادات كرديّة" لمؤلّفها **ملّا محمود بايزيدي -1799) .(1867**وهنا لا بدّ من القول أنّه لربّما هناك مؤلّفات باللهجة الكرمنجيّة قبل عهد سمكو شكاكي ولم تصلنا، وهذا يستوجب المزيد والمزيد من البحث والدراسة. حيث أنّ هناك أسماء أدبيّة كرديّة لامعة مثل **حسام الدين حسن جلبي** (الذي يعتبر من أكثر قرّاء الشاعر المشهور مولانا جلال الدين الرومي وشرحاً لقصائده) وأيضاً **الشيخ أبو بكر زينهاراني** (وهو من مدينة أورمية)، لكن لا نعرف فيما إذا كتبوا باللغة الكرديّة أم لا.

اللافت في صحيفة "كرد" التي كانت تطبع زمن سمكو شكاكي كانت باللغتين الكرديّة والفارسيّة وتنشر مقالات متنوّعة وانتشرت على نطاق واسع في المنطقة، كما أنّ حروف المجلّة باللهجتين الكرمنجيّة والسورانيّة.

المرحلة التي تلت سقوط جمهوريّة مهاباد

بعد دخول قوّات الشاه الإيراني إلى مهاباد والقضاء على جمهوريّتها التي أسّسها القاضي محمد، مارست السلطات شتّى أنواع الظلم والاضطهاد بحقّ الشعب الكردي. كما تمّ منع إصدار أيّ جريدة، مجلّة أو كتاب باللغة الكرديّة، كانت المطبوعات فقط باللغة الفارسيّة على امتداد جغرافيا إيران. وتعرّض الكرد لحصار اقتصاديّ، سياسيّ وثقافي، وبلغ الاستبداد في شرق كردستان ذروته، بالأخص في كرمانشان وسنه. وبدأت عمليّات فرض الفارسيّة (لغة وثقافة) على المنطقة برمّتها وبدأت بوادر الانحلال في هذه الثقافة في المجتمع الكردي، في ظلّ عمليّات قمع ممنّهجة شبيها بتلك التي شنّها مصطفى كمال أتاتورك بحقّ الشعب الكردي في شمال كردستان (تركيا).

لا نبالغ إذا ما قلنا أنّ سياسات اضطهاد الثقافة الكرديّة التي مارستها الحكومات الإيرانيّة المتعاقبة تبلغ ضعفي تلك التي مارستها الحكومات التركيّة. فقد عانى الكرد في شرق كردستان الأمرّين جرّاء الحرب العشواء على ثقافتهم وهويّتهم القوميّة. وهذه الحرب قائمة حتّى يومنا هذا، لأنّ النظام الإيراني الحالي يعلم تماماً أنّ معظم الثورات والانتفاضات التي أشعلها الكرد كان منبعها منطقة أورمية وموكريان، تلك المنطقتان اللتان شهدتا حركة ثقافيّة كبيرة على مرّ التاريخ.

أوضاع شرق كردستان بعد العام 1979

في ربيع العام 1984، أصدر الشاعر الكردي المشهور هيمن موكرياني (1921-1986) مجلّة ثقافيّة-أدبيّة بعنوان "سيروه" في مدينة أورمية. وسرعان ما تجمّع حوله العشرات من المثقّفين والكتّاب الكرد. وكان لصدور مجلّة "سيروه" أثراً كبيراً في إعادة احياء اللغة الكرديّة، حيث انتشرت على نطاق واسع في المجتمع، خاصّة بين شريحة الشباب الذين تعلّموا لغتهم الأم (قراءة وكتابة) من خلال صفحاتها، كما بدؤوا بإرسال مقالاتهم، قصائدهم وكتاباتهم إلى المجلّة. في تلك الفترة، ظهرت أسماء كتّاب كرد لامعين كتبوا باللهجة الكرمنجيّة منهم جلال الدين نظامي، سرتيب منصوري، سيّد علوي وكافي علوي. كان لجلال الدين نظامي فضلاً في احياء الكتابة باللهجة الكرمنجيّة، حيث أرسل رسالة، على شكل مقال، إلى هيمن موكرياني بعنوان "عتب ملامات محلّية" وكانت رسالة عتب على إهمال اللهجة الكرمنجيّة وما وصلت إليه من حال. وقد نشر موكرياني الرسالة في العدد الخامس من مجلّة "سيروه"، ومنذ العدد السادس، تمّ تخصيص عدد من صفحات المجلّة باللهجة الكرمنجيّة. (حتّى قبل نشر صفحات باللهجة الكرمنجيّة في مجلّة سيروه، كان العديد من المثقّفين الكرد يظنّون أنّ اللهجة السورانيّة فقط هي لهجة الأدب والشعر!) .وزادت فيما بعد رسائل مدير دار نشر "صلاح الدين الأيّوبي" من عدد صفحات المجلّة المكتوبة بالكرمنجيّة واكتسبت المجلّة رونقاً متميّزاً.

بعد إصدار العدد الرابع والتسعين من المجلّة، باتت الصفحات الكرمنجيّة مكتوبة بالحروف اللاتينيّة. وفي نهاية العام 2002، أصدر كلّ من كافي علوي وجلال الدين نظامي عددين من مجلّة سيروه باللهجة الكرمنجيّة فقط وبالحروف اللاتينيّة، حيث كان **عزيز نعمتي، حسن سوجايي، عزّت مقتدر ومحمّد صفايي** أعضاء في هيئة تحرير المجلّة حينذاك. وبعد هذين العددين، توقّفت المجلّة من إصدار صفحات بالكرمنجيّة.

مع بدايات ثورة الشعوب في إيران، أصدر الكاتب الكردي محمّد صالح إبراهيمي (شه بول) مجلّة فصليّة باسم "كرشه يي كردستان" في العام 1981، والتي ضمّت صفحاتها مقالاً لجلال الدين نظامي، الذي كتبها وللمرّة الأولى باللهجة الكرمنجيّة، ليستمرّ بالكتابة بهذه اللهجة في صفحات مجلّة آمانج (1982 - طهران)، مجلّة آوين (1985 - طهران ومن إصدار دار تبليغات الإسلامي للنشر) وكردستان (2001 من إصدار المعهد الكردي في طهران).

كانت المجلّات الآنفة الذكر تُدعم من قبل الحكومة الإيرانيّة، ومع ذلك فقد ساهمت في إغناء الثقافة الكرديّة ولعبت دوراً هامّاً في زيادة الوعي الكردي. وكان هذا الدعم الحكومي سعياً لكسب الكرد أو على الأقل ضمان عدم قيامهم بأيّ حركة

ضدّ النظام خلال الحرب الإيرانيّة - العراقيّة (1980 - 1988) تماماً كما فعل نظام البعث في العراق الذي هادن الكرد وتودّد إليهم خلال الحرب تلك. لكن ما أن وضعت الحرب أوزارها حتّى قطعت الحكومة الإيرانيّة الدعم عن بعض من تلك المجلّات ومنعت إصدار الأخريات، كما شنّت حملة اضطّهاد ممنهجة استهدفت الثقافة واللغة الكرديّة وأغلقت عدداً من الإذاعات الناطقة باللغة الكرديّة إلى جانب وقف بثّ البرامج الكرديّة في التلفزيونات الإيرانيّة.

من الهام والضروري القول بأنّه حتّى لو كانت الكتابة والتحدّث باللغة الكرديّة مسموح بها في إيران، فإنّ عدداً قليلاً جدّاً من المثقّفين الكرد يولون اهتماماً بلغتهم ولا نجد إلّا أبحاثاً قليلة باللغة الكرديّة. علاوة على عدم دعم الحكومة الإيرانيّة أيّ خطوة من شأنها أن تحافظ على هذه اللغة، ونذكر هنا على سبيل المثال، أنّ عدداً من المثقّفين الكرد، ومنذ عدّة سنوات، يعملون على إصدار مجلّة بعنوان "روجدا" باللهجة الكرمنجيّة في مدينة أورمية، بيد أنّ السلطات الإيرانيّة لا تمنحهم الموافقة لإصدارها.

بعد التطوّرات التي شهدتها أجزاء كردستان (شمال، غرب وجنوب) وتحقيق أبناء الشعب الكردي فيها مكاسب سياسيّة وثقافيّة، بات الحسّ القومي لدى الكرد في شرق كردستان أقوى من ذي قبل. ويجب الإشارة هنا إلى أنّ عدداً من الشباب الكرد أسّسوا في السنوات الأخيرة الماضية عدّة مدارس لتعليم اللغة الكرديّة في مدينة أورميّة ومدن أخرى، رغم أنّ الاستخبارات الإيرانيّة تضيّق الخنّاق عليهم وتلاحق النشطاء منهم، كما حدث مع الشاب بهزاد سمكو الذي كان يدرّس اللغة الكرديّة في قرى أورميّة، إلّا أنّ الملاحقات التي تعرّض لها من قبل الاستخبارات أجبرته على الفرار إلى جنوب كردستان.

الإذاعات الكرديّة في شرق كردستان

منذ العام 1969، أطلقت على أثير عدد من الإذاعات في كرمانشان، أورمية وطهران برامج باللغة الكرديّة (باللهجتين السورانيّة والكرمنجيّة) لكنّ مدّة بثّ تلك البرامج كانت قصيرة (تتراوح بين النصف ساعة إلى الساعتين). والآن هناك قناة "سحر" تبثّ برامج باللهجتين السورانيّة والكرمنجيّة، لكنّ ساعات بثّهما قليلة جدّاً.

بالإضافة إلى الكثير من المواقع الالكترونيّة باللغة الكرديّة (وبكلّ اللهجات) على الإنترنيت، لكنّها تخضع لرقابة صارمة من قبل النظام الإيراني. على الرغم من ذلك، يصرّ مشرفو تلك المواقع على مواصلة جهودهم الثقافيّة ونشر المقالات وكافة أصناف الأدب باللغة الكرديّة إلى جانب نشر كتب كرديّة إلكترونيّة.

يمكن القول أنّ أوّل كتاب أصدر باللهجة الكرمنجيّة في شرق كردستان كان إعادة طبع كتاب "المولد" للشاعر الكرديّ المشهور الملا حسن باته يي (1417–1491) - الكتاب عبارة عن قصائد دينيّة يلقيها الكرد خلال احتفالهم بعيد المولد النبوي-

أمّا الكتاب الثاني فكان كتاب شرح ديوان "مه م وزين" للشاعر والفيلسوف الكردي أحمدى خاني (1650 - 1707 وفقاً لعدد من المصادر) والذي نشره الملّا حميدى ماكويي بناء على مقترح من جلال الدين نظامي وبرويز جيهاني.

بالإضافة إلى الكتابين المذكورين، فقد صدرت دووابن شعر باللهجة الكرمنجيّة منها دووابن جلال الدين نظامي.

حال اللغة والثقافة لدى كرد خراسان

الكرد في خراسان متعطّشون لثقافتهم الكرديّة ومتمسّكون بعاداتهم وتقاليدهم، فنونهم، هويّتهم ولغتهم الأم. وهم يسعون دوماً لأن يتعلّم أطفالهم في مدارس كرديّة ليحافظوا على أصالتهم.

قد تكون سياسة الاضطّهاد التي مارستها الحكومات الإيرانيّة قد أثّرت على البعض من الكرد في خراسان وانصهروا في بوتقة الثقافة الفارسيّة، إلّا أنّ الغالبيّة العظمة من الشعب هناك حافظ على هويّته ومصرّ على عدم التفريط بها، ونجد ذلك أيضاً لدى الكرد في منطقة هاورامان. وبُثّت حلقات عدّة عن عادات وتقاليد الكرد الخراسانيّين على أثير فضائيّات Stêrk T - Aryen - Newroz TV.

من الناحية التراثيّة، أثّر الكرد في خراسان على قوميّات وإثنيّات مقيمة في محيطهم كالترك، التات، التركمان والفرس الذين أخذوا الكثير من الأغاني، العادات، أنواع الرقص والملابس الخراسانيّة.. ولا يجب علينا أن نغفل عن الدور الهام الذي لعبته الموسيقى والأغاني الكرديّة والفنّانون الكرد في الحفاظ على بقاء اللغة الكرديّة حيّة في تلك البقعة الجغرافيّة.

يعمل أهل خراسان، بغالبيّتهم، في الزراعة وتربية المواشي، حيث أنّ أراضي تلك المنطقة ذات تربة خصبة صالحة لزراعة الكثير من الثمار والمحاصيل. وأغلب السكّان هم قرويّون يعيشون في قراهم (هذا الأمر ساهم في حفاظهم على عاداتهم وتراثهم). الحكومة الإيرانيّة لا تولي اهتماماً للكرد في خراسان ولا تقدّم لهم أيّ نوع من أنواع الدعم، وهذا الاهمال تسبّب في زيادة الفقر بين الشعب هناك. طبعاً هذه السياسة يطبّقها النظام الإيراني في عموم جغرافيا شرق كردستان.

ما يميّز الشباب الكرد في خراسان هو شغفهم للعلم والدراسة. فالغالبيّة منهم يتابعون تحصيلهم العلمي في الجامعات والمعاهد، على الرغم من أنّ الدولة لا توفّر لهم فرص التوظيف أو العمل بعد إنهائهم لدراستهم. مع ذلك، يشعر المرء بالدهشة حيال تصميمهم على التحصيل العلمي. وهذا الأمر جعل منهم أناساً مثقّفين ولديهم اهتمام كبير بالمجالات الثقافيّة التي تصطدم بصخرة سياسات النظام الإيراني وعلى الدوام. فعلى سبيل المثال، قبل 4 أعوام أصدرت مجموعة من الشباب الخراسانيّين (جمعيّة المؤسّسين الكرديّة) في مدينة قوجان مجلّة باللهجة الكرمنجيّة اسمها "كرمانج" لكنّ السلطات سارعت إلى منعها وهي الآن متوقّفة. كما حاول آخرون إصدار مجلّة بعنوان "شومال"، بيد أنّ السلطات منعتهم من نشر المجلّة والتهديد باعتقال كلّ من يحاول نشرها. وهناك إذاعة تُبثّ من مدينة مشهد، لديها برنامج باللغة الكرديّة (كانت مدّة البرنامج ساعتين والآن أصبحت فقط نصف ساعة.. هذه هي سياسة الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران).

ومن الكتّاب الكرد المشهورين في خراسان **كليم الله توحّدي وعلي رضا سباهي .**

كليم الله توحّدي من مواليد قرية "أوغازي" التابعة لمدينة شيروان في ولاية خراسان. يُعتبر الأكثر مساهمة في إعادة احياء الثقافة واللغة الكرديّة في خراسان، بعد ما كانت على وشك الانحلال في البوتقة الفارسيّة، وذلك من خلال نشره الكثير من الكتب والمقالات بلغته الأم. وإن كنّا نشاهد حركة ثقافيّة كرديّة في مدن شيروان، قوجان، بنجورد وكلات، فيعود الفضل فيها إلى هذا الكاتب الكبير وأيضاً لعلي رضا سباهي

خاتمة

يؤكّد المتخصّصون في العلوم الاجتماعيّة أنّ اللغة تلعب أهمّ الأدوار في الحفاظ على تراث وأصالة أيّ شعب من شعوب العالم، وتساهم في بناء شخصيّة الإنسان المتحدّث بها. فاللغة هي التي تشكّل خصوصيّة أيّ قوميةٍ وهي في جوهرها كرامة الإنسان المنتمي لتلك القوميّة. وقد أطلقت الأمم المتّحدة على العام 2008 "عام اللغة" وقرّرت تخصيص 11 شباط من كلّ عام ك"يوم عالميّ للغة الأم ."

النظام الإيراني يسعى جاهداً لأن يجعل اللغة الفارسيّة هي اللغة الطاغية في عموم أرجاء إيران، إضافة إلى كونها اللغة الرسميّة للدولة. وعلى الرغم من أنّ المادة 16 من الدستور الإيراني تتحدّث عن ضرورة تعلّم كافة الإثنيّات والقوميّات ضمن جغرافيا إيران بلغتهم الأم، إلّا أنّ هذا الكلام لا يطبّق على أرض الواقع، بل ممارسات وسياسات النظام الإيراني تثبت العكس تماماً.

الكرد في شرق كردستان يمرّون بأوضاع صعبة للغاية. فالأحزاب السياسيّة الكرديّة هناك لا يجمعهم أيّ نوع من أنواع الاتّفاق أو التنسيق، ناهيك عن الخلافات التي تمزّق صفوفهم. كما أنّهم لا يملكون أيّ تأثير على الرأي العام لدى الشعب الكردي هناك .

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، سياسات النظام الإيراني الذي يمارس شتّى أنواع الظلم والاضّطهاد بحقّ الكرد من اعتقالات تعسّفية، محاكمات غير قانونيّة، إعدامات تطال النشطاء السياسيّين وحتّى المجتمعيّين، التعذيب الممنّهج داخل السجون والمعتقلات، علاوة على سياسة كمّ الأفواه منع حرّية الرأي والتعبير. رغم كلّ ذلك، الكرد هم أكثر شعوب إيران ممارسة للحياة السياسيّة وهم الأكثر تنظيماً بين الشعوب الأخرى والأكثر تقديماً للتضحيات (وفقاً لتقارير دوليّة عدّة) وما إعدام "فرزاد كمان كه ر" و"شيرين المهولي" وغيرهم المئات من الناشطين سوى خير دليل على سياسات القمع التي تتّبعها الحكومة الإيرانيّة بحقّ الكرد.

أجوبة على أسئلة مطروحة حول واقع الكرد في شرق كردستان

-قبل التطوّرات الأخيرة على الساحة الكردستانيّة بالعموم، ماذا كانت مطالب الكرد في شرق كردستان وكيف كانت الحكومة الإيرانيّة تتعامل مع تلك المطالب؟

كانت المطالب التي تطالب بها وتناضل لأجلها الأحزاب الكرديّة تتمثّل في الحقوق السياسيّة. لكنّ تلك الأحزاب السياسيّة لم تكن متّفقة على صيغة موحّدة. لكن بعد التطوّرات التي طرأت في ثورة الكرد بشمال كردستان والمكتسبات التي حصل عليها الكرد في جنوب كردستان (على شكل إدارة شبه مستقلّة) باتت تلك المطالب تأخذ شكل الفدراليّة والكونفدرالية في إيران. بالعموم الكرد في شرق كردستان يطالبون بإدارة مناطقهم بشكل حرّ ومستقل.

-ما هو دور حزب الحياة الحرّة الكردستاني PJAK في الحياة السياسيّة؟ قبل ذلك كان هناك الحزب الديمقراطي الكرستاني - إيران HDK-I وكوملة، الآن لا دور لهما، ما سبب ذلك؟

يعتبر حزب PJAK حزباً فتيّاً لديه أفكار ومطالب جديدة. تأسّس في العام 2004 في الفترة التي عانى منها الحزب الديمقراطي وكوملة الأمرّين في مواجهة النظام الإيراني (حتّى في جنوب كردستان كانت الضغوط هائلة على قياداتهما). وتمكّن هذا الحزب أن يبدأ مرحلة جديدة في نضال الشعب الكردي بشرق كردستان. حتّى تلك الفترة التي سبقت تأسيس الحزب، كانت الاستخبارات الإيرانيّة تمارس الإرهاب بحقّ قادة الأحزاب الكردستانيّة وكوادرها داخل إيران وخارجها سواء في كوي، كركوك، سليمانيّة وحتّى في بغداد، وقامت بعمليّات اغتيال بحقّ أكثر من 600 من قادة تلك الأحزاب وكوادرها. لكن بعد تأسيس حزب الحياة الحرّة، انكسر جدار الخوف لدى الشعب في شرق كردستان وبات الجو العام هناك أكثر ملاءمة لممارسة النضال بأساليب جديدة.

يمكننا القول بأنّ النضال الذي يقوم به الحزب الديمقراطي وكوملة يقتصر في المجال الإعلامي فقط. لكنّ حزب الحياة الحرّة، من خلال كفاحه المسلّح، أدخل القضيّة الكرديّة في شرق كردستان مرحلة أكثر جدّية ودخل الحزب في حرب مفتوحة مع النظام الإيراني .

في واقع الحال، انخفاض وتير النضال لدى الأحزاب الكردستانيّة (خاصّة حزبي الديمقراطي وكوملة) يتمثّل في ضغوط الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحزبي الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني - عراق. هذان الحزبان اللذان لا يرغبان أن يمارس النظام الإيراني أيّة عداوة تجاه السلطة التي يتقاسماها في جنوب كردستان. لذا تمّ عزل قادة الكوملة والحزب الديمقراطي الكردستاني - إيران في مخيّمات خارج المدن. وهذا ما أثار استياء عدد من كوادر الحزبين، ما أدّى إلى انشقاق البعض منهم وتأسيس أطر سياسيّة جديدة.

الأحزاب الكرديّة في إيران تأمّلت من أمريكا تعاوناً لإسقاط النظام في طهران، على غرار ما فعلته في العراق بإسقاط نظام البعث. لكن هذا الأمر لم يتحقّق لها ولم تقم واشنطن بأيّ خطوة بهذا الاتّجاه حينها. ويمكننا القول بأنّ الانشقاقات التي حصلت في صفوف الحزب الديمقراطي الكردستاني - إيران والاغتيالات التي تمّت بحق قادتها وعدد من كوادرها تجعل من فكرة حلّ الحزب أقرب للواقع. كما أنّ الكفاح المسلّح الذي خاضه حزب الحياة الحرّة الكردستاني PJAK أكسب الحزب حاضنة شعبيّة قويّة وبات الكرد في شرق كردستان، الذين ضاقوا ذرعاً بسياسات النظام الإيراني، مؤيّدين للحزب أكثر من تأييدهم للأحزاب الكردستانيّة الأخرى والتي فقدت حواضنها الشعبيّة.

-إلى أيّ مستوى وصلت سياسات الصهر القومي التي اتّبعتها الحكومات الإيرانيّة ضدّ الكرد؟

يمكن القول بأنّ سياسات صهر الكرد في بوتقة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة (وقبل الثورة الإسلاميّة أيضاً) كان الجانب الدينيّ المذهبي طاغياً عليها، ونقصد هنا المذهب الشيعي الذي يتبنّاه نظام الملالي في طهران. فمنذ حكم الصفويّين وحتّى يومنا هذا، سعت الحكومات الإيرانيّة إلى نشر التشيّع داخل إيران وخارجها. هذه السياسة عانى منها الكرد، البلوج والعرب ووقفوا بالضدّ منها .

في عهد الشاه محمّد رضا بهلوي، مارست السلطات سياسات واسعة النطاق في كرمانشان وإيلام وسنه لصهر الكرد في بوتقة إيران والمذهب الشيعي. لكن مع بدء ثورة الشعوب في العام 1979 كان مصير تلك المحاولات الفشل الذريع. وأيضاً بعد القضاء على انتفاضة سمكو شكاكي وبعدها القضاء على جمهوريّة مهاباد (1946) شهدت غالبيّة مدن شرق كردستان سياسات رامية إلى القضاء على الهويّة القوميّة الكرديّة. لكن كلّ القمع والاضطهاد التي مارستها الحكومات الإيرانيّة لم تتمكّن من تحقيق أهدافها وبقي الكرد محافظين على هويّتهم وانتمائهم ومتسكين بها ومناضلين لأجل نيل كافة حقوقهم المشروعة.

بشكل موجز، المكتسبات التي حقّقها الكرد في أجزاء كردستان الأخرى) ثورة الكرد في شمال كردستان.. تأسيس أوّل فضائيّة كرديّة Med TV في العام 1995.. تأسيس حكم ذاتيّ في جنوب كردستان في تسعينيّات القرن الماضي.. تأسيس

الكرد للأدارة الذاتية الديمقراطيّة في روج آفا/شمال وشرق سوريا.. انتصار كوباني في وجه إرهاب داعش (..كلّها كانت عوامل في ابقاء روح النضال والتمسّك بالهويّة القوميّة لدى الكرد في شرق كردستان.

-ما هو وضع المرأة الكرديّة في شرق كردستان؟ ما هي نوع العلاقات التي تربطها بمجتمعها وبالدولة الإيرانيّة؟

لا يختلف وضع المرأة في شرق كردستان عن وضع نظيراتها في أجزاء كردستان الأخرى من ناحية العادات والتقاليد. لكن من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة، تعاني المرأة الكرديّة هناك ظلماً واضطهاداً كبيرين. تواجه المرأة الكرديّة تحقيراً قلّ نظيره في الأجزاء الأخرى وتتعرّض لشتى أنواع القمع. في ولاية إيلام، نسبة المرأة التي تنتحر هي النسبة الأعلى على مستوى إيران. لكن في السنوات العشر الأخيرة، زادت نسبة الإناث المتعلّمات في المدارس، المعاهد وحتّى الجامعات. ووفقاً لاحصائيّات غير رسميّة، فإنّ نسبة الإناث الكرديّات في الجامعات زادت عن نسبة الذكور. وتأتي هذه الزيادة في النسبة تلك إلى ردّة فعل المرأة بالعموم تجاه ما تعرّضت له من قمع وظلم، إذ رأت المرأة أنّ خير وسيلة لردّ ظلم المجتمع والنظام على حدّ سواء هي التسلّح بالعلم .

-أساليب توجيه المجتمع نحو الانحلال (من خلال نشر المخدّرات بين فئة الشباب)، إلى أيّ درجة يعاني منها شرق كردستان؟

في الأعوام التي سبقت تأسيس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، كانت المناطق الكرديّة أفضل حالاً من باقي المناطق من ناحية انتشار المخدّرات. لكن السياسة التي اتّبعها نظام الملالي حيال الكرد تهدف إلى القضاء على بنية المجتمع الكردي. لذا قامت أجهزة الاستخبارات بالتعاون مع "أكراد خونة" بنشر تجارة المخدّرات على نطاق واسع في مدن شرق كردستان، بغية إصابة الشباب الكرد بالشلل الفكري ويصبحون بعيداً عن قيمهم وأخلاقهم المجتمعيّة وبالتالي يبتعدون كلّ البعد عن جوهر قضيّتهم وأهدافهم السياسيّة. طبعاً نجحت السلطات الإيرانيّة في سياستها هذه إلى حدّ كبير. لكن في العامين الماضيين، يُلاحظ أنّ نسبة مدمني المخدّرات في المجتمع الكردي قلّت بدرجة ملحوظة، ويعود الفضل في ذلك إلى وسائل الإعلام الكرديّة التي لعبت دوراً هامّاً في توعية الشباب الكرد وخلق الحسّ القومي لديهم، إلى جانب تحذيرهم من سياسات النظام الإيراني.

مصادر البحث:

-كردستان والأكراد (د. عبد الرحمن قاسملو)

-مقابلة مع الكتّاب الكرد كليم الله توحّدي.. محمّد صالح إبراهيمي (شه بول).. حسن صالح سوران

-مقابلة مع الكاتب والشاعر جلال الدين نظامي

-مجلّة سيروه.. مجلّة أوين.. مجلّة كرشه يي كردستان

-مقال للأستاذ ناصر رزازي عن طبيعة شرق كردستان

-جريدة كردستان (إصدارات الحزب الديمقراطي الكردستاني-إيران 1946)

-رواية "بيشمركة" لمؤلّفها رحيم قاضي

*كاكشار أورمار: باحث كردي من شرق كردستان